جلول احميمد النقاشي

القرآن
مصدر قاعدة البدل وعطف البيان

تطـوان

1403هـ - 1983م

جلول احميمد (النقاشي)

حمداً وصلاة

القرآن مصدر قواعد اللغة العربية

القرآن الكريم يعتبر - شرعا وعقلا - منهلا عذبا لارتشاف قواعد اللغة العربية، وخاصة البدل وعطف البيان - اللذين يدور عليهما محور كلامنا في هذه العجالة -، فقد أوضحنا فيها ما بينهما من دقيق الفروق بذرعة نماذج قرآنية، عله يتجلى ما يمتاز به كل منهما عن الآخر، ويتضح للقراء الكرام عموما، ودارسي اللغة العربية بوجه أخص ما في بعض المؤلفات المقررة.

ففي ص. (92) من «قواعد اللغة العربية» مقرر السنة الاولى من التعليم الثانوي، كتب تحت عنوان «البدل»: «كان أمير المؤمنين: عمر بن عبد العزيز مثالا نادرا للحكم العادل الصالح».

وفي ص. (223) من «النحو التطبيقي» مقرر المتوسط الثاني، كتب تحت عنوان «البدل» : «أخذ الاستاذ : أحمد يخاطب تلميذه: عليا الذي ظهر منه نفور نحو اخونه».

وفى ص. (11) من «أتهيأ للامتحان دورة 17 ـ 6 ـ 81، ودورة 14 ـ 6 ـ 82، كتب تحت عنوان «البدل» : «حادثت خالدا الحارس».

من استقصاء قواعد اللغة العربية المستشفة من أنفس أمهات الكتب المعتمدة، وعلى رأسها : «الركنان الركينان» ، نستنتج أن الامثلة التطبيقية المذكورة في الكتابين المقررين الاولين ، ليست من باب البدل، وإنما من عطف البيان، ذلك. أن البدل: ما قدم فيه الأخص، وعطف البيان بالعكس (ما قدم فيه الأعم).

هذا من جهة، ومن ناحية ثانية، أن البدل : ما أريد فيه التابع فقط، لانه البيت القصيد، فهو كغاية لا كوسيلة أما المبدل منه ففي نية الطرح، لانه ذكر كمقدمة لا كنتيجة مثلجة، كما سيأتي في الآية (25) من سورة

الكهف، والآية (97) من سورة آل عمران، والى ذلك أشار ابن مالك في ألفيته قائلا:

التابع المقصود بالحكم بلا واسطة هو المسمى بدلا

وعطف البيان: ما أريد فيه كل من التابع والمتبوع، بيد أن التابع يشترط فيه أن يكون أوضح من المتبوع، ومن جهة أخرى، أن عطف البيان لا يمكن فيه الاستغناء عن التابع، كقولنا: عائشة نجح الحسن أخوها، ولا عن المتبوع، كقول الشاعر:

أنا ابن التارك البكري بشر عليه الطير ترقبه وقوعا

وسيأتي - في المحل المناسب - مزيد من الايضاح، والى ذلك أشار ابن مالك في الألفية:

فذو البيان تابع شبه الصفة حقيقة القصد به منكشفة

وبالقاء لمحة عجلى على ما جادت به أريحية النحاة العباقرة، يستساغ الفرق بين البدل وعطف البيان.

ففي ج. 3 ص. (65) من الأشموني: يفترق البدل عن عطف البيان بثمانية أشياء، وقيل - كما في حاشية

الصبان عليه ـ : بأحد عشر.

وفي ج. 3 ص. (439) من «النحو الوافي» : المشابهة بين البدل وعطف البيان من ناحية معناهما وإعرابهما وجمودهما ولفظهما، غالبية.

وفي ص (126) من الملوي على المكودي: البيان في البدل لم يقعد بالذات، وإنما النسبة، وعطف البيان بالعكس.

وفي ج. 3 ص. (243) من «جامع الدروس العربية» للشيخ مصطفى الغلاييني: الفرق بين البدل وعطف البيان، أن البدل هو المقصود بالحكم، وعطف البيان بالعكس (المتبوع هو المقصود بالحكم). لأن التابع جيء به توضيحا للمتبوع وكشفا له.

وفي ج 2 ص (132) من «التصريح على التوضيح» للألفية: يصح أن يعرب عطف البيان بدلا إلا في حالتين:

1 ـ عدم الاستغناء عنه، مثل (هند قام زيد أخوها) فلا يصح إعراب (أخوها) بدلا، لاحتوائه على ضمير يعو

على المبتدأ (هند)، فيتعين - إذن - إعرابه عطف بيان.

2 - عدم احلاله محل المتبوع، مثل (يازيد الحرث)، فلا يصح إعراب (الحرث) بدلا، لعدم جواز الجمع بين «أل» و «النداء»، عدم جواز إضافة العلم أو اقترانه بأل، لأن البدل على نية تكرار العامل، والعامل هنا (يا)، فلا يجوز أن يقال: يالحرث.

وفي ج. 3 ص. (243) من جامع الدروس العربية للغلاييني: كل ما جاز أن يكون عطف بيان جاز أن يكون بدلا إلا في موضعين:

1 - أن لا يمكن الاستغناء عن التابع، كقولنا: فاطمة جاء حسين أخوها، فيجب إعراب (أخوها) عطف بيان، لتلبسه بضمير المبتدأ (فاطمة) فلو حذف عطف البيان (أخوها) لفسد التركيب.

2 - أن لا يمكن الاستغناء عن المتبوع، كقول الشاعر: «أنا ابن التارك بشر» الخ ما سبق. فبشر يجب إعرابه عطف بيان على البكري، لا بدل، لأنه لو حذف

المتبوع (البكري) لوجب أن يضاف التارك الى (بشر) وهو ممتنع، لأن إضافة ما فيه (أل) إذا كان ليس مثنى أو مجموعا جمع مذكر سالما - إلى ما كان مجردا عنها غير جائزة، إلا الفراء فأجاز إضافة الوصف المقترن بأل الى كل اسم معرفة بلا قيد ولا شرط، فعلى رأيه يجوز إعراب (بشر) بدلا من البكري، غير أن هذا القول ليس بمرضي لدى النحاة الكفاة، وكفى بذلك دليلا تعريض ابن مالك به قائلا:

ونحو بشر تابع البكري ... وليس أن يبدل بالمرضي

ومن ذلك قول الآخر:

أيا أخوينا عبد شمس ونوفلا ... أعيذكما بالله أن تحدثا حربا

فعبد شمس عطف بيان من (أخوينا) ونوفلا معطوف بالواو على «عبد شمس»، ولا يجوز إعراب «عبد شمس» بدلا، لأنه لا يمكن الاستغناء عن المتبوع (أيا أخوينا) فلا يصح أن يقال: أيا عبد شمس ونوفلا، بل يجب أن يقال: ونوفل (بالبناء على الضم) لأن المنادى إذا عطف عليه اسم

مجرد من (أل) والاضافة، وجب بناؤه، لأنه ان ناديته كان كذلك نحو (يا نوفل) كما في مبحث «أحكام توابع المنادى».

وفي ج. 2 ص. (221) من ابن عقيل: يصح إعراب عطف البيان بدلا إلا في مسألتين:

1 - أن يكون التابع مفردا معربا معرفة، والمتبوع منادى، مثل (يا غلام يعمرا) فيتعين إعراب (يعمرا) عطف بيان لا بدلا، لأن البدل على نية تكرار العامل.

2 - أن يكون التابع خاليا من (أل) والمتبوع مقرون بأل (وقد أضيفت اليه صفة مقرونة بأل) مثل (أنا الضارب الرجل زيد)، فيتعين إعراب (زيد) عطف بيان، لا بدلا من الرجل للعلة الآنفة (البدل على نية تكرار العامل)، فيغدو - إذ ذاك - التقدير هكذا (أنا الضارب زيد)، مع أن الصفة لا تضاف إلا لما فيه (أل) كالرجل، أو ما أضيف الى ما فيه (أل)، مثل (بشر تابع البكري)، فيتعين إعراب (بشرا) عطف بيان في قول الشاعر:

«أنا ابن التارك، البيت، فلا يصح إعراب (بشر) بدلا، لأن التقدير يصير هكذا (أنا ابن التارك: بشر).

وفي ص. (126) من المكودي: عطف البيان يصلح أن يكون بدلا وذلك مطرد إلا في موضعين:

1 ـ في غير نحو (يا غلام يعمرا)، فلا يصح إعراب (يعمرا) بدلا لما سلف.

2 ـ وفي نحو قول الشاعر الماضي (أنا ابن) الخ ما مر.

والى تينك الحالتين اللتين يفترق فيهما البدل عن عطف البيان، يشير ابن مالك:

وصالحا لبدلية يرى   فى غير نحو يا غلام يعمرا

ونحو بشر تابع البكري   وليس أن يبدل بالمرضي

ومما ذكر، نستقي أن الامثلة التطبيقية المذكورة في المقررين الآنفين، لا يصح إعرابها بدلا، فأمير المؤمنين ـ بالنسبة للكتاب الاول، أعم (يتناول سائر الامراء) و (عمر) أخص (لا يتناول إلا الشخص الذي وضع له ذلك

الاسم في سابع ولادته)، وبالنسبة للكتاب الثاني، نجد أن كلا من (الاستاذ) و (تلميذه) أعم (يتناول عدة أساتذة وتلاميذ) وأن كلا من (أحمد)، و (عليا) لا يتناول إلا المسمى الموضوع له ذلك الاسم في سابع الولادة، فان كلا من الاسامي (عمر، أحمد، عليا) الواقعة في الكتابين المقررين بعلم (بفتح العين واللام) والعلم لا تجوز اضافته ولا قترانه بأل، فلا يمكن أن يحل (كان العمر) محل (كان الامير)، ولا (أخذ الاحمد) محل (أخذ الاستاذ)، و (عليه) محل (تلميذه).

أما بالنسبة للكتاب الثالث (أتهيأ للامتحان) فأتساءل هل المثال (حادثت خالدا الحارس) ذكر على سبيل القصد أم على سبيل الصدفة؟، فان كان الاول فنعما.

هذا وأن الاشياء لما كانت لا تفهم ـ فهما صحيحا ـ إلا بأضدادها، استعرضنا نماذج يتعين فيها البدل تارة، وعطف البيان آونة أخرى.

نمـاذج البـدل:

من النماذج التي يتعين فيها البدل، والتي استنبطت منها قاعدته، ما يلي:

1 ـ قوله سبحانه: «ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا» (الكهف ـ 25). فهذه الآية يجب إعرابها بدلا، لا عطف بيان من وجوه :

أ ـ تقديم الأخص، فالمبدل منه (ثلثمائة) لا يتناول إلا عددا معينا 300 (صفرين يمنة رقم ثلاثة) .

ب ـ تأخير الأعم، فالبدل (سنين) يتناول نفس العدد، وما هو أقل منه: 200، و (100)، ومما هو أكثر: 400، و (500) وهكذا .

والبدل لا يشترط فيه مطابقة التابع للمتبوع، كالنعت فقد يكونان نكرتين، كالآية، وقد يكونان معرفتين، وقد يكون أحدهما معرفة والآخر نكرة كالآية: «صراط مستقيم صراط الله» (الشورى ـ 52) .

2 ـ وقد اشترط النحاة في ابدال المعرفة من النكرة أن يكون المبدل منه موصوفا، وهذا الشرط موجود في الآية.

ج ـ ارادة التابع فقط (سنين) فان احدى الطائفتين ـ حسب فحوى الآية (12) من الكهف: «أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا»، كانت لا تجهل كم العدد، وإنما نوع المعدود : هل ساعات أو أياما أو أسابيع أو سنوات أو قرونا ؟ فأجيبت بـ (سنين) فلو أعربت عطف بيان لتولد من ذلك ما يلي:

1 ـ أن يعلق الفؤاد أنه لم يكن ثمة إلا فئة واحدة تتوق ـ بعارم التلهف ـ الى تخصيص عموم المبين (فتحا) كما هو الشأن فى عطف البيان، علما أن الذين خامرتهم الشكوك ـ في آية الكهف ـ كانوا فريقين:

أحدهما كان لا يعرف شيئا عن أصحاب الكهف ولا مقدار المدة التي لبثوها، فأجيب بـ (ثلثمائة) غير أن ذلك لا يشفي الغليل، لان الكلام يعد ناقصا ما دام لم يذكر مع العدد معدوده كقولنا: أقام فلان بتطوان ثلثمائة ، فهذا النبأ يعتبر ناقصا ما دام لم يذكر المعدود مع العدد، والآخر كان يعرف ما لبثه أصحاب الكهف

من مدة اجمالية (تلثمائة) لكن ـ في نفس الوقت ـ كان يجهل نوع المعدود: هل ساعات أو أياما أو أسابيع أو.. الخ ما سلف، فأجيب : (سنين) فاطمأن خاطره. لان ما كان ينتظره ـ انتظار الظمآن عذب الماء ـ قد حصل، فأثلجت دخيلته. الشيء الذي حدا لوذعيي النحاة أن جعلوا التابع هو المقصود الاهم، فاعتبروه كمسبب لا كسبب (والمسبب ـ عادة ـ ينشرح اليه الصدر أكثر من انشراحه للسبب). فالنباتات الداكنة الخضرة تنبسط اليها النفس أكثر من انبساطها الى انسكاب المطر، رغم أنه السبب الوحيد في بروز النباتات من الارض واخضرارها، فالآية ـ حينئذ ـ نظير قول النحاة: جاء زيد أخوك، فالمبدل منه الأخص (زيد) أجيب به من كان يجهل مجيئه، هل قدم من السفر فعلا أم لا؟ والبدل الأعم (أخوك) أجيب به من كان يجهل نسبة الاخوة، وهو المقصود الاهم، وسيأتي مزيد من الايضاح في النموذج الثالث:

النموذج الثاني: قوله سبحانه: «ولله على الناس حج البيت

من استطاع اليه سبيلا» (آل عمران 97) فهذه الآية يجب إعرابها بدلا، لنفس الوجوه السالفة:

أ ـ تقديم الأخص، فالمبدل منه (الناس) لا يتناول إلا ما ينضوي تحت تعريف الانسان (الحيوان الناطق).

ب ـ تأخير الأعم. فالبدل (من) يتناول المعرف وغيره، لان كلمة (من) من صيغ العموم، فهي تشمل «الانسان» ـ المفهوم من «الناس» وغيره ـ لقوله تعالى: «والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع» (النور ـ 36).

ج ـ إرادة التابع فقط (من استطاع)، فان الحج ليس واجبا على جميع الناس، وانما على المستطيع مالا وبدنا، وقد أوضحنا باقي الشروط في ص (6) من كتابنا (الحج والعمرة في خمسة أيام) فلو أعربت عطف بيان، لنجم عن ذلك ما يلي:

أن يجيش البال أن الحج واجب على كل من

القادر والعاجز، لان عطف البيان يجب أن يراعى فيه كل من التابع والمتبوع، فلا يمكن الاستغناء عن أحدهما ـ كما تقدم للغلاييني ـ مع العلم أن شريعتنا السمحاء لا تكلفنا ما لا نطيق، كما في الآي:

أ ـ «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» (البقرة ـ 185).

ب ـ «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها» (البقرة ـ 286).

ج ـ «وما جعل عليكم فى الدين من حرج» (الحج ـ 78).

وفي الحديث «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه».

الاستيقـــاء:

يستقى من آيتي الكهف وآل عمران:

أن المبدل منه أخص من جهة، وكوسيلة من ثانية، وكجواب لمن كان يجهل ما أسند اليه من ثالثة، والبدل أعم من جهة، وكغاية من ثانية، وكجواب لمن كان يجهل نسبة البدل للمبدل منه من ثالثة.

النموذج الثالث: قول النحاة السابق: جاء زيد أخوك، فهذا المثال يجب أن يعرب بدلا لعين الوجوه المنصرمة:

أ ـ تقديم الأخص، فالمبدل منه (زيد) لا يتناول إلا المسمى الموضوع له ذلك الاسم في سابع الولادة.

ب ـ تأخير الأعم، فالبدل (أخوك) يتناول سائر الاخوة (زيد المذكور وغيره من عمرو، وخالد، وبكر و...) لو افترضنا أن أحدهم أكبر والآخر أصغر والثالث أوسط.

ج ـ إرادة التابع فقط، وبيان ذلك لو فرضنا أن للمرء زوجتين:

إحداهما تقطن بأنأى شمال المغرب (سبتة)، والاخرى بأقصى جنوبه (الداخلة) وأنجب من كل واحدة ولدا، (واتفق أن اصطحب الولدان في كلية ما)، ثم أنبأ ـ أحدهما ـ شخص يعرف أبويهما معرفة يقينية، فقال له: أحرز زيد أخوك على الدكتورة بميزة (حسن جدا) فالمخاطب الملقي اليه الكلام، لم يلفت ذهنه صوب المبدل منه (زيد)، لانه يعرفه (عينا واسما شخصيا وعائليا)، وإنما

لفت ذهنه حيال البدل (أخوك)، لانه كان يجهل نسبة الاخوة له فقط، وذاك معنى قول النحاة السابق: المبدل منه في نية الطرح، والحكمة في ذلك: أن المرء يستعذب سماع الشيء المجهول الطريف اللذيذ النادر الحدوث، ويستثقل - في نفس الوقت - سماع المعلوم المكرر المتداول الشائع لدى أعم العوام، بل أخص الخواص، وأحرى إذا كان طويلا مملا.

غير أن الولدين (الاخوين) قد يكونان من أب فقط كالمثال المذكور، وقد يكونان من أم، كما لو طلقت زوجة من زوجها الاول، أو توفي عنها بعد أن أنجبت منه ولدا، ثم تزوجت بزوج آخر، فأنجبت منه ولدا (واتفق أن ترافق ولداها في عاصمة علمية ما) فقيل لأحدهما: تفوق زيد أخوك في المباراة النزيهة، فأحد الاخوين الملقى اليه الكلام، لم يتجه بفكره تجاه المبدل منه (زيد)، لان اسمه ومسماه معلومان لديه، وإنما اتجه الى البدل لما ذكر.

وقد يكونان شقيقين (من أب وأم) كما لو قدرنا أن أكبر الاخوين غادر - آن صباه - مسقط رأسه وتوجه الى دولة ما نائية، وبعد مدة جد طويلة، التحق به أخوه الاصغر، قصد اتمام دراسته، فتعاشرا، فقيل لاحدهما: فاز زيد أخوك فى الامتحان، فأحد الاخوين الملقى اليه الكلام لم يتجه نظره نحو المبدل منه، وإنما الى البدل لما مر.

فلو أعرب هذا المثال عطف بيان لسرى النياط أن التابع يساوي المتبوع في التطلع والاشتياق، والواقع أن المتلهف الى سماعه كثيرا هو التابع لما تقدم من أنه المقصود الاهم.

النموذج الرابع: قولنا: زار - تطوان - أحمد: أمير المؤمنين، فهذا المثال يجب إعرابه بدلا، لذات الوجوه الغابرة:

أ - تقديم الأخص، فالمبدل منه (أحمد) لا يتناول إلا المسمى الموضوع له ذلك الاسم في السابع.

ب - تأخير الأعم، فالبدل (أمير المؤمنين) يتناول عدة أمراء (أحمد المذكور وغيره).

والثاني ما يعتور الحج من وجوب تارة وغيره أخرى، والثالث نسبة الاخوة، والثالث نسبة الامارة. وما قيل في البدل، يقال عن عطف البيان الآتي نماذجه الاربعة، وبذا يندفع ما قد يساور بعض الافئدة من التكرار بدون جدوى.

نماذج عطف البيان:

من النماذج التي يتعين فيها البيان، والتي استنتجت منها قاعدته ما يلي:

1 ـ قوله سبحانه: «قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون» (المؤمنون ـ 1 ـ 2) فهذه الآية يجب أن تعرب عطف بيان، لا بدلا من وجوه:

أ ـ تقديم الأعم (المؤمنون) فهو يتناول سائر أصناف المؤمنين (المصلي، والمزكي، والصائم، والحاج، والمعرض عن اللغو، والمحافظ على الفروج، والمراعي للأمانة والعهد) وهكذا.

ب ـ تأخير الأخص (الذين هم فى صلاتهم خاشعون) فلا يتناول إلا الخاشع في صلاته قلبا وقالبا، مما أوثر ـ في

هذا المقام ـ اسم الموصول (الذين) فهو أخص من أسماء الاعلام، لان المعارف السبعة تتفاوت فيما بينها، ولو كانت جميعها تقابل بالنكرات، ألا ترى أن قولنا: سافر الذي عين وزيرا أولا للحكومة الفلانية أخص من قولنا: سافر «محمد» لانه يشترك فيه عدة مسميات (العالم والجاهل، المثقف والامي، المخلص والمنافق، النابغ والغبي، الذكي والبليد، الفطن والساذج، النبيه والبسيط، الحليم والنازق، الحكيم والطائش، المتريث والمستهتر، المتبصر والمنفعل، المتأني والمندفع، الرصين والمتدهور، الرزين والمرتجل، المتدبر والمنخدع، الرشيد والسفيه، الطويل والقصير، الأبيض والاسود، المقسط والقاسط، الشجاع والجبان، المستقيم والزائغ، الصادق والكاذب، الامين والخائن، اللين والخشين) وهكذا، فهو من قبيل المشترك اللفظي، والاشتراك اللفظي. أحد الكليات الخمس ـ التي نظمها صاحب السلم قائلا:

ونسبة الالفاظ للمعاني   خمسة أقسام بلا نقصان

تواطؤ، تشاكك، تخالف   والاشتراك عكسه: الترادف

ج - إرادة التابع والمتبوع: بحيث يجب على كل مسلم أن يضع نصب عينيه - حال الصلاة - الاتصاف بكامل الايمان، بناء على أن (أل) في «المؤمنون» للكمال فلو أعربت (الآية) بدلا، لتولد من ذلك ما هو محظور شرعا وعقلا وعادة. فان المرء لو غض طرفه عن الاتصاف بالايمان - آن أداء الصلاة - لأقام أبلغ حجة على أن ما يتلوه خلالها لم يتجاوز رأس لسانه، وإنما يريد بذلك احدى الخصلتين الذميمتين (الرياء والسمعة)، لان المبدل منه - كما مر - في نية الطرح، علما أن تجسم الاقوال مقيت، وكذلك لو صرف نظره عن الاتصاف بالايمان - آن أداء الزكاة - لأقام أسطع دليل على أن ما يمنحه أحد الاصناف الثمانية - المذكورة في الآية: (60) من التوبة - لم يكن صادرا من صميم قلبه، للعلة النحوية الآنفة.

الاستنتـــاج :

يستنبط من هذه الآية والتي تليها، أن عطف البيان

ما قدم فيه الأعم من جهة، وأريد فيه التابع والمتبوع من ثانية، وعدم الاستغناء عنهما من ثالثة، والتابع اشهر من رابعة، والبدل بالعكس.

النموذج الثاني : قوله تعالى: «اهدنا الصراط المستقيم : صراط الذين أنعمت عليهم» (الفاتحة 5 - 6) فهذه الآية يجب إعرابها - في رأيي - عطف بيان، لاستيفاء الشروط الآنفـة:

أ - تقديم الأعم (اهدنا الصراط المستقيم)، فهو يتناول سائر أنواع المهايع المستقيمة من صلاة وزكاة وصيام وحج، ودمث خلق، وخفض جناح، وارتداء قشيب أنفس حلل التقوى، وإيثار الرضا على السخط، والحلم على النزق، والحكمة على الطيش، والاناة على الارتجال، والصبر على الضجر، والليونة على الخشونة، والحنو على الجفاء، والرأفة على الفظ والاثرة، والرقة القلبية على القساوة، والود على الغلظة، والصفو على أتون الانتقام، والصفح على الاخذ بالثأر، والسمح على العذل، والمغفرة على المواخذة،

والرصانة على الانفعال، والتريث على الاستعجال، والرزانة على الاندفاع، والتبصر على التدهور، والتثبت على الاستهتار، والامعان جيدا في العواقب على الاغترار بالشكليات ـ التي لم تلبث أن تنصهر على وهج الحقيقة، وهكذا من أثيل الشيم التي طبع عليها كفاة المخلصين (كسرا) بله المخلصين (فتحا).

ب ـ تأخير الأخص (صراط الذين أنعمت عليهم) فلا يتناول إلا المصطفين الاخيار من علية النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين ـ الذين أنعم الله بنعمة الاسلام الكامل والايمان التام والاخلاص المحض ـ فنشروا ـ في ربوع أصقاع الدنيا ـ ألوية الاسلام، وأنقذوا البشرية قاطبة من طخية الالحاد الى نبراس الايقان، ومن دجية الشرك والكفر الى مصباح الايمان والاسلام، ومن ظلمة الجهل والغواية الى نور العلم والرشاد، ومن أثل النفاق ومره الى طلاوة الاحسان ولذته، وعلى رأس هذه الصفوة محمد (ص) الذي استأثر عن أولي العزم ـ فضلا عن غيرهم ـ

بمزايا عظيمة، فقد خصه باعثه ومرسله بـ:

1 ـ الرسالة العامة «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» (الانبياء ـ 107) «وما أرسلناك إلا كافة للناس» (الاحزاب 28).

2 ـ والشفاعة العظمى، فان عامة المخلوقات استشفعته بعد أن يئست من آدم ونوح وموسى وعيسى.

وما إلى ذلك من حميد الصفات التي لم يشاطره فيها أي واحد من أخص البشر، وقد نظمت فقيل:

خص نبينا بعدة خلال ... لم يحتلم قط ولا له ظلال

والارض ما يخرج منه تبتلع ... فوقوع الذباب عنه يمتنع

ولد مختونا له الشفاعة ... لم يتفوه، كل، كان تابعه

اضطجاعا وعطيطا لا ينقض ... وضوؤه، صدقة فيرفض

ظل الغمام، حوض، لبس أحمر ... من (رباع) التزوج بأكثر

تعرفه الدواب أن يركب ... ونبع ماء صوت جذع يرغب

وبراق الاسراء والمعراج ... سرعته الصواريخ، تفاجي

تنام عيناه والقلب لا ينام ... يرى من خلفه كما يرى أمام

يعلو جلوسه جلوس الجلساء ... صلى عليه الله صبحا ومساء

شرح ما ورد فى الابيات من الكلمات الغامضة

1 ـ خلال جمع خلة (بفتح الخاء واللام): الخصلة. ظلال جمع ظل (بكسر الظاء المشالة): الفيء من القيظ.

2 ـ الارض مبتدأ، وتبتلع خبرها، وما عقول مقدم بـ (تبتلع)، فالارض كانت تبتلع كل ما كان ينفذ من أحد مخرجيه (ص) بنهم وشره بل وبشهية متفتحة، وكان الذباب لا يسقط عليه (ص) لحمل الواحدة منها 50 مليون جرثومة.

3 ـ الختان: قطع ما يحف بالحشفة من جلدة، الشفاعة: شفاعته (ص) للخلق عامة، فأل فيها للعموم.

التفوه: التنفس القوى مع فتح الفم على مصراعيه، والتنوين فى (كل) خلف عن المضاف إليه، أي كل فرد من أفراد البشر الا كان ينقاد للنبي (ص) لا عن مضض وكراهية، وانما بطيب خاطر ورضى نفسه، ولا عن قسر واجبار، وانما عن حسن اختيار وطواعية «لا اكراه في الدين» (البقرة 256).

4 ـ الاضطجاع: الاتكاء على أحد شقي الجسد، العطيط: تتابع الصوت، ونحن ـ المغاربة ـ نسميه باللسان العربي الدارج (الشخير). صدقة مفعول مقدم بـ (يرفض)، فكان (ص) يرفض الصدقة ويقبل ـ في نفس الوقت ـ الهدية، كما في ج 4 ص 149 من «نيل الاوطار».

5 ـ ونظرا لما فى لبس الثياب ذوات اللون القاني الحمرة من اثارة الاهتمام واسترعائه ـ حذر النبي (ص) من ارتدائه قائلا: «ان الشيطان يحب الحمرة فاياكم والحمرة وكل ثوب ذي شهرة»، وفى رواية: «اياكم والحمرة فانها أحب الزينة إلى الشيطان». وفي نفس المرجع ما نصه: «فان قلت: فما الراجح ان صح ذلك الحديث؟ قلت: قد تقرر في الاصول أن النبي (ص) إذا فعل فعلا لم يصاحبه دليل خاص يدل على التأسي به فيه. كان مخصصا له بطريق الظهور، فيكون على هذا لبس الاحمر مختصا به».

6 ـ نبع ماءه وذلك من بين أصابعه (ص). صوت جذع، كان يخطب عليه ولما استغنى عنه أخذ يصيح حنوا.

7 ـ سرعة الصواريخ العصرية لا يقاس عليها البراق، فشتان ما بين السرعتين، فاحداهما بمحض سماوي، والاخرى باختراع بشري.

8 ـ فقلبه (ص) كان لا يعتوره النوم رغم غلق عينيه.

9 ـ وللضرورة، حذفت همزة (تفاجيء)، كما قصرت ـ لنفس العلة ـ كل من الجلساء ومساء هذا وأن الامة المحمدية امتازت بخمس صلوات مفروضة بدل خمسين، تخفيفا من الله الذي أنشأنا وأعادنا:

خمس لقاء خمسين صلاة   تخفيفا ممن صير رفاتنا

ولارادة العموم، حذف كل من فاعل ومفعول (غير) كالآية «والله يعلم وأنتم لا تعلمون» (البقرة 216).

أي ان الله يعلم كل شيء وأنتم لا تعلمون شيئا من الاشياء النافعة الحقيرة بله الكثيرة العظيمة.

جـ ـ ارادة التابع والمتبوع: بحيث يجب على كل مسلم أن يضع نصب عينيه ـ آن انجاز المرغوب فيه شرعا ـ

أنه ينهج الصراط السوي مدى حياته، ويتشبث بأهدابه (ص) قولا وفعلا وتقريرا «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم» (آل عمران 31).

فلو أعربت (آية الفاتحة) بدلا. لنجم عن ذلك ما لا تحمد عقباه من أسوأ النتائج.

ذلك: أن المرء لو غض طرفه عن سلوك المحجة البيضاء ـ آن تنفيذ المأمور به شرعا ـ لاقام أقطع بينة على أن ما يفوه به من القول، لم يتعد رأس حلقومه، وما ينجزه من الفعل لم يكن نابعا من سويداء فؤاده، وانما يريد احدى الخلتين المقيتتين (الرياء، السمعة) والكل ذميم شرعا، فان الاخلاص ـ في الاقوال والافعال ـ لا يتحقق الا بمراعاة كل من المتبوع (الصراط المستقيم) والتابع (صراط الذين أنعمت عليهم) ولا يتحقق الا باعتبار كافة الورى آن ترداد الاول، وأخص خواص البرية آن تلاوة الثاني، وفي ج 13 ص (46) من تفسير المراغي ما نصه: «اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم»، أي من النبيئين

والصديقين والشهداء والصالحين.

ولو أعربت بدلا، لبرهن المرء على أنه زائغ عن جادة السبل التي ينفذها الاعلون ممن يراقبون بارئهم سراً وعلنا، في أقوالهم وأفعالهم، ويحاسبون نفوسهم انما يخلون واياها، لاعتقادهم أن ربهم مطلع على خاجات نفوسهم وخبير بنبضات عقولهم، وعليم بكل ذرة من ذرات أفئدتهم.

ولو أعربت بدلا لاتهم المرء أنه يحاول عبثاً أن ينافس النبي (ص) في رسالته «وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» (الزخرف 31).

ويحسده على ما آتاه الله من قمة العز «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله» (النساء 54).

ولعل اعراب بعض النحاة الآية المذكورة بدلا، مبنى على مراعاة مطلق البيان والايضاح. وغفلوا عن تلك القاعدة التي امتاز بها البدل عن عطف البيان (البدل منه في نية الطرح) فهي روح البدل ولبه. فقد استنتجنا ـ بعد ما وازنا بين ما ينبني على أحد الاعرابين ـ أن عطف البيان أرجح

كفة ومما يؤازر ذلك، ايثاركلمة (أنعم)، فكلمة (الانعام) لا تتناول الا نخبة النخب ممن اصطفاهم الله على العالمين :

1 ـ كابراهيم الذي أشاد بجليل مآثره حبيبه قائلا : «واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيئا اذ قال لابيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا» ـ نبيئا» (مريم 41 ـ 50).

2 ـ وموسى الذي نوه بعظيم محاسنه ربه قائلا : «واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيئا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا، ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيئا» (مريم 51 ـ 53).

3 ـ واسماعيل الذي أثنى عليه خالقه قائلا : «واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيئا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا» (مريم 54 ـ 55).

4 ـ وادريس الذي رفع من شأوه منشئه قائلا : «واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيئا ورفعناه

مكانا عليا» (مريم 56) .

لذا خص الله (أنعم) المذكورة بعد اسم الاشارة والموصول : «أولئك الذين أنعم الله عليهم» - «بكيا» (مريم 58) .

ولا يعزب عن ذي نهية ما لسر ايثار (أنعم) في آية الفاتحة على كلا من «جاد وتفضل ومن» كما آثرها الله في الآي :

أ - «ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين» (النساء - 69).

ب - «قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي» (الاحقاف - 15).

ج - «وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك» (الاحزاب - 37)، فان الله أنعم على من نزلت فيه هذه (زيد بن حارثة) بالاسلام وتقربه من محمد (ص) كما أنعم عليه هو الاخر بالعتق من مقت

الرقية، والانطلاق من ذل العبودية الى نور الحرية والسيادة وذلك من أجل الايادي. ألا ترى أن خلص الادباء يقولون ان جلالة الملك (الحسن الثاني) أنعم على فلان بالوسام الفلاني من الدرجة الفلانية، فكلمة (أنعم) أسنى شأوا من كلمة (تفضل وجاد ومن)، لان الانعام بالوسام أسمى درجة من الاستقبال - الذي يقال فيه : تفضل جلالة الملك فاستقبل فلانا فقد يستقبل جلالة الملك شخصا، ظنا أنه مظلوم، فإذا به ظالم «يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» (الحجرات - 6). وعليه فالله سبحانه أراد بالتابع (صراط الذين أنعمت عليهم) من اجتباهم من خيرة الانام وفى طليعتهم خاتم النبيئين (ص)، وبالمتبوع (اهدنا الصراط المستقيم) سائر الطرق المستقيمة التي يسلكها مطلق البشر مثل (المؤمنون) بالنسبة للآية السابقة (قد أفلح الخ.

النموذج الثالث : «زار - تطوان - الملك الحسن الثاني» فهذا المثال يجب أن يعرب عطف بيان لما خلا:

أ ـ تقديم الأعم (الملك) فهو يتناول سائر الملوك (الحسن المذكور، والحسن عاهل الاردن، وفهد سلطان المملكة العربية السعودية) وهكذا.

ب ـ تأخير الاخص (الحسن) فهو لا يتناول إلا الشخص الذي وضع له ذلك الاسم فى سابع الولادة، والذي لزمته تلك الصفة (الثاني) بعد البيعة بالملك ـ لزوم العرض للجوهر، والماء للعود الاخضر.

ج ـ إرادة التابع والمتبوع معا.

النموذج الرابع: اغتيل أبو حفص: عمر آن الصلاة، فهذا المثال ـ كما في ج. 3 ص. (242) من جامع الدروس للغلاييني ـ يجب اعرابه عطف بيان، لما مر.

أ ـ تقديم الاعم (أبو حفص) فهو يتناول سائر الكنى.

ب ـ تأخير الاخص (عمر بن الخطاب) فهو لا يتناول إلا ذلك الشهم المغوار، الذي غدا مضرب الامثال فى الورع والنزاهة، والصرامة النادرة، ومؤازرة المظلوم ـ مهما علا مكانه وبهظت ثروته وحدت شوكته وعرض جاهه ـ

مما لقب بالفاروق.

ج ـ إرادة التابع والمتبوع، ومنه: جاء أخوك زيد، فيقال فيه ما قيل عن نظائره من تقديم الاعم (أخوك) وتأخير الاخص (زيد) وإرادة التابع والمتبوع جميعا.

تطوان ـ جلول احميمد (النقاشي)

فهرس

الموضوع	صفحة
القرآن مصدر قواعد اللغة العربية	3
أمثلة البدل في الكتب الرسمية المقررة	4
الفرق بين البدل وعطف البيان	5
من نماذج البدل	12
النموذج الاول	12
« الثاني	14
« الثالث	17
« الرابع	19
من نماذج عطف البيان	22
النموذج الاول	22
« الثاني	25
« الثالث	35
« الرابع	36